(الجزء الاول)
(من كتاب الحديقة)
(الندية شرح الطريقة)
(المحمدية للعارف بالله)
(تعالى والدال عليه سيدى)
(عبد الغنى النابلسى الحنفى)
(الدمشقى مسلك المريدين)
(ومرشد السالكين)
(رحمه الله آمين)

كرك رسومدن معا قدر

مطبعهٔ عامره ده طبع اولنمشدر
سنه ١٢٩٠ هجريه

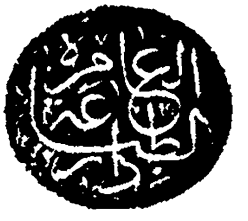

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله لذى شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الابرار * حتى سرح طرف قلوبهم فى لحدائق اليانعة من تلك المعارف والاسرار * واذاقهم حلاوات مناجاته فى خلوات عباداته وكشف عن وجوههم استار الاغبار * فتسابقوا فى ميدان التوحيد على خيل التجريد مسرجة بالتفريد فلم يدرك لهم غبار * وجعلهم حجة على اهل الغفلة المكبلين فى قيود الاغترار * ومحجة واضحة الى عناية المالك الجليل وحماية الملك الجبار * والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبى المختار * الذى اهتدى بانوار شرائعه وارتوى بانواء ذرائعه ذو الغواية المحتار * صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود الموصل كل من اتبعه الى رؤية الله تعالى فى دار القرار * وعلى آله السادة الاطهار * الطالعين فى سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والاقمار * وعلى اصحابه الائمة الكاملين فى جميع الاطوار * اهل الزهد والتوكل والاستقامة والايثار * خصوصا الخلفاء الاربعة منهم والمهاجرين والانصار * وعلى التابعين لهم باحسان ماتعاقب الليل والنهار * (امابعد) فيقول الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبد الغنى بن اسماعيل ابن عبد الغنى بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعد الدين بن جماعة النابلسى الدمشقى الحنفى اخذ الله تعالى بيده * وامده بمدده * ورحم اجداده واسلافه * وسقاهم من الرحيق المختوم فى الجنان سلافه * لما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ماجل منه وما دق كانت الشريعة

الحدائق البساتين
اليانعة كثيرة الثمر
المكبلين المقيدين
محجة اى طريقا
انواء امطار
الغواية اى الجهل
الايثار اعطاء المساكين
سلافه اى شراب

ماظهر للمجتهدين من اقواله وافعاله * والطريقة ماتبين للسالكين من اخلاقه واحواله * والحقيقة ماانكشف للواصلين من مكاشفاته فى معاملاته وخطر على باله * والشريعة ففقهاء وكتب لهم مؤلفة فى ذلك * والطريقة فضلاء وكتب لهم مصنفة للسالك * والحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة الى ماهنالك * وان من اجل المصنفات فى علم الطريقة التى هى البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة (كتاب الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية) التى صنفها الشيخ الامام * والمولى الهمام * العالم العامل * والفاضل الكامل * محمد افندى الرومى البركلى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه * واسكنه فسيح جنانه * كان ابوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من اصحاب الزوايا ونشأ هو فى طلب العلوم والمعارف حتى برع فيها واشتغل على المولى محيى الدين اخى زاده وصار ملازما من المولى عبدالرحمن احد قضاة العساكر فى زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبدالله القرمانى البيرامى ثم امره شيخه بالعود الى الاشتغال بمدارسة العلوم وافادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل بينه وبين عطاء معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطاء المذكور مدرسة بقصبة بركل وجعله مدرسا فيها وعين له فى كل يوم ستين درهما * له من المصنفات هذا الكتاب الذى سماه الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية وشرح مختصر الكافية للبيضاوى فى النحو وله متن لطيف فى علم الفرائض وله فى الحديث والقراآت والفقه تعاليق ورسائل كان قائما بالحق لاتأخذه فى الله لومة لائم ينصر الشريعة ولايهاب كبيرا ولاصغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفى فى جمادى الأولى سنة * احدى وثمانين وتسعمائة * رحمه الله تعالى وكتابه هذا يا له من كتاب لطيف * وتأليف شريف * مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات * وجمع بين الفوائد العلميات والفرائد الاعتقاديات * واتقن تحريره * واوضح تقريره * ونصح فيه الامة * وازال به عن القلوب الغمة * وقد دعانى الى شرحه بعض الاصحاب * جعلنى الله تعالى واياه من المؤيدين بالعناية والصواب * ولما كان وقفت له على شرح يكشف عن عباراته * ويوضح ماأشكل عند القاصرين من اشاراته * فشرعت فى شرح له مختصر المبانى * مستجمع المعانى * يجذب الى محاسنه قلوب اهل الكمال * ويصرف عن التطفل على موائد فوائده اهل التعصب من الجهال * وقد سميته (الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية) ومن الله تعالى استمد الهداية والتوفيق * واسأله ان يوقينى مواضع الزلل ويؤيدنى بالتحقيق * وان ينفع بكتابى هذا امة محمد عليه الصلاة والسلام * ويوفقهم لعلمه والعمل به ويمحنى واياهم حسن الختام * وحسبنا الله ونعم الوكيل * والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) لاسم كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا

لابد من مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمى بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها اوتخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمى هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هى اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق اواحس به فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى اوغيره وهى مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى* سبح اسم ربك الاعلى* والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكأنه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى*واذكر اسم ربك بكرة واصيلا* وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى *واذكر ربك*اى سبح ربك والا شراب جار فى لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشئ الى نفسه واجيب بان الاسم هو بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هى اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى *يغلام اسمه يحيى *ثم قال يايحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها الغلام الذى اسمه يحيى ولوكان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته كذا قاله القسطلانى فى مواهبه وذكرنا فى كتابنا المطالب الوافية اختلاف العلماء فى الاسم والمسمى والتسمية على اثنين واربعين قولا وحررنا هذه المسئلة هناك اكمل تحرير باوضح تقرير وفى حاشية تفسير البيضاوى لشيخى زاده ذهب جمهور اهل اللغة فى اسم الله الى انه عربى مشتق صار علما بالغلبة لان اسماء الله تعالى كلها صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها فيتوسل بها اليه فان قدماء الفلاسفة انكروا ان يكون لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم بناء على ان المراد من وضع ذلك الاسم ان يذكر عند احد لتعريف ذلك المسمى به وقد ثبت ان احدا من خلقه لا يعرف ذاته المخصوصة البتة فكيف يشار اليه بذكر اسم واذا لم يصح ان يشار اليه بذكر اسم لم يبق لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة فثبت ان هذا النوع من الاسم مفقود وان جميع اسمائه صفات مشتقة وهى ما تدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين وانما قلنا ان ذاته المخصوصة ليس معقولا لاحد لانا اذا رجعنا الى عقولنا لا نجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى الا احد امور اربعة اما العلم بكونه موجودا واما العلم بدوام وجوده واما العلم بصفات الجلال وهى الاعتبارات السلبية واما العلم بصفات الاكرام وهى الاعتبارات الاضافية وقد ثبت بالدليل ان ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الاربعة فانه ثبت ان حقيقته غير وجوده واذا كان كذلك

كانت حقيقته ايضا مغايرة لدوام وجوده وثبت ايضا ان حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية والاضافية واذ قد تحقق انه ليس فى عقولنا من معرفته تعالى الا هذه الامور الاربعة وانها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت ان حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر وانه لا سبيل الى ادراكه من حيث هو هو وهو المسمى بالمعرفة الذاتية وانما نعرفه بالامور الخارجية عنه وهو المعرفة العرضية وهى كما اذا رأينا بناء علمنا بطريق الابصار بانه لا بد له من بان فالمعلوم بالذات هو البناء واما البانى فهو معلوم بالعرض فى هذه الصورة وعلم البانى لكونه بانيا له لا يستلزم علمه بخصوصيته وخصوصية حقيقته وانها من اى نوع الماهيات والمعرفة الذاتية كما اذا عرفنا اللون المعين ببصرنا وعرفنا الحرارة بلمسنا وعرفنا الصوت بسمعنا فانه لا حقيقة للحرارة والبرودة الا هذه الكيفية الملموسة ولا حقيقة للبياض والسواد الا هذه الكيفية المرئية وكذا الحال اذا رأينا المحدثات وعلمنا احتياجها الى محدث وخالق فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية وهى التى فى وسع البشر فى الدنيا واجاب بعضهم انه لا يمتنع فى قدرة الله تعالى ان يشرف بعض المقربين من عباده بان يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة ومن العلماء من تورع فى لفظ الجلالة عن طلب مأخذه وذكر معناه ومنهم من قال لعله مشتق لا يعرف المشتق منه ولم نكلف بمعرفته وقال بعضهم هو اسم عربى علم غير مشتق كما ذهب اليه الخليل والزجاج وقال بعضهم انه سريانى معرب ثم ذكر اشتقاقه واطال الكلام فى ذلك (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم بان جعل الفعل المتعدى لازما بمنزلة الغرائز ليفيد المبالغة فنقل الى فعل بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة وانما ابتدأ بالبسملة اقتفاء لاثر القرآن العظيم واحترازا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم (كل امر ذى بال) يعنى حالا يهتم به شرعا فيخرج المحرم والمكروه وفى المباح كلام (لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم) اى اقطع بمعنى مقطوع البركة (الحمد لله) وهو لغة الثناء الجميل ولو ادعاء الاختيارى ولو ما لا على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره فمورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا اختياريا كان او غيره على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الممدوح والشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر او غيره وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله وتمامه فى كتاب الاحكام للشيخ الوالد رحمه تعالى واعقب التسمية بالتحميد اقتداء باسلوب الكتاب المجيد وعملا بقوله عليه السلام (كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اقطع) رواه ابو داود وغيره من حديث ابى هريرة ولا تعارض بين حديثى البدأة بالتسمية والتحميد

لارادة الحمد العرفى وهو اعم من فعل اللسان فانه يحصل بالقلب فيمكن البداءة معافى
فى وقت واحد بالتسمية باللسان و بالحمدلة بالقلب كما حررته فى كتابتى على اوائل تفسير
البيضاوى فيكون ذكره باللسان ايضا اخبارا عما فى القلب و تأكيدا له (الذى جعلنا)
معاشر امة محمد صلى الله عليه وسلم امة الاجابة وهم المؤمنون ويحتمل ان يراد جميع
من ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وهم امة الدعوة ايضا على تقدير انهم
لو كانوا مؤمنين (امة وسطا) بالتحريك اى خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل امة اى جماعة
ولهذا عقبه فى الآية بقوله تعالى * لتكونوا شهداء على الناس * لان منصب الشهادة
مفتقر لوصف العدالة وبهذا يقوى دليل ابى حنيفة رضى الله عنه فى جعله كل مسلم
عدلا وقال الشافعية هذا باعتبار الكل المجموع لا باعتبار الافراد ولصحة هذا الاعتبار
قال تعالى * واشهدوا ذوى عدل منكم * ولما كانت الاطراف مما يتسارع اليها الخلل
والاغوار والاوساط محمية محفوظة فسر الوسط بالعدل لانه عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها باقرب من بعض ذكره بن اقبرس فى فتح الصفا شرح الشفا وقال
البيضاوى الوسط فى الاصل اسم للمكان الذى تستوى فيه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها (خيرا) الاول
اقتباس من قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا * وهذا اقتباس ايضا من قوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت
للناس * فان الاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن والحديث لا على انه منه كما ذكره
علماء البديع فلا يضر الحذف والتغيير قال الكازرونى فى حاشية البيضاوى ولا يجب
فى الاقتباس الاتيان ببعض الفاظ القرآن او الحديث واما ايراده من غير زيادة
ولا نقصان فلا يجب انتهى فتأمل قوله كنتم اى فى اللوح المحفوظ او فى علم الله
او فيما بين الامم المتقدمين وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طرأ
كقوله تعالى * وكان الله غفورا رحيما * قال ابن اقبرس خيرامة اى افضل امة لان دينه
صلى الله تعالى عليه وسلم خير الاديان لقوله تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وهو
شهادة الله والملائكة واولى العلم وكفى بالله شهيدا وهذه منة عظيمة من الله تعالى
على عباده بهذا النبى صلى الله عليه وسلم وقال السلمى فى حقائقه قال يحيى بن معاذ
هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قوما ثم يعذبهم وقال جعفر الصادق
تأمرون بالمعروف وهو موافقة الكتاب والسنة وفى مواهب القسطلانى قال مجاهد
كنتم خيرامة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة اى تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خيرامة لان المسلمين منهم اكثر والامر

بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه السلام خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن بعدها والى هذا ذهب بعض العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة من عمره افضل من كل من يأتى بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن يأتى بعد الصحابة افضل ممن كان فى جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس قرنى ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الايمان واهل الكبائر الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات وفى مسند ابى دواد الطيالسى عن محمد بن ابى حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اى الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى فهم افضل الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضى تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة وآخرها فى فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتى فضله من يشاء واسناد حديث ابى دواد الطيالسى الى عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمى والطبرانى عن ابى عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلائل على افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها انتهى ويمكن التوفيق بين ماذهب اليه ابو عمر بن عبد البر وبين ماذهب اليه الجمهور بان الصحابة افضل من وجه الصحبة التى لا يعادلها عمل ويمكن ان يكون غيرهم افضل منهم من وجوه اخرى وبهذا يندفع التعارض بين الاحاديث والله اعلم

(والصلاة) هى من الله تعالى الرحمة ومعناها تعظيم شريعته وابقاؤها الى يوم القيمة وفى الآخرة تشفيعه فى امته ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة على احد الوجوه ومن المؤمنين دعاء له ببعثه المقام المحمود واولى ما يراد بها ههنا ما امر نا به صلى الله

عليه وسلم بقوله سلوالى الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ذكره الوالد رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال فى فتح البارى وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابى حاتم عن مقاتل بن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك ابن مزاحم صلاة الله رحمته وفى رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل القاضى عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة فى قوله سبحانه * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى *صلوا عليه وسلموا تسليما * حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة فى تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته واقرهم النبى صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك فى السلام وجوز الحليمى ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيائه هى ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهى التى وسعت كل شئ وحكى القاضى عياض عن ابى بكر الفشيرى انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبى رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبى وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى فى سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبى وقال قبل ذلك فى السورة المذكورة هو الذى يصلى عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذى يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره وقال الحليمى المقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاته من احسن الينا فان عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابى محمد المرجانى وقال ابن العربى فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذى يصلى عليه لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة

عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى *هو الذى يصلى عليكم وملائكته * وبقوله تعالى * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وبقوله تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم * وبحديث عبدالله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لايجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعار الانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او على صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله تعالى وحملوا ما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم وقال آخرون لايجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم العصمة فلا يقتدى بهم فى ذلك ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى اقوال ثلاثة حكاها النووى فى الاذكار ثم قال والصحيح الذى عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والله اعلم (والسلام) اى الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان او هو مصدر بمعنى سلمه الله اى جعله سالما ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال على عليه السلام والاحياء والاموات فيه سواء غير ان الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمع بين الصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى * ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * وحذرا من كراهة افراد احدهما عن الآخر ولو خطا وقد صرحوا بانه يكره ترك الصلاة والسلام والاقتصار على احدهما وقيل المراد بالكراهة خلاف الاولى وليست على بابها فان الاتيان بهما فيه اجر وتركهما او احدهما يخل بذلك الاجر وترك للاولى ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه ويستحب الترضى للصحابة والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الاخيار وهل يجوز عكسه فقال بعضهم لايجوز بل الترضى مخصوص بالصحابة ويقال لغيرهم رحمه الله فقط وقال النووى هذا غير صحيح بل الصحيح الذى عليه الجمهور استحبابه ودلائله اكثر من ان تحصى. واما اذا ذكر من اختلف فى نبوته كذى القرنين ولقمان فقال بعض العلماء كلاما يفهم منه ان يقال صلى الله عليه وسلم قال النووى والذى اراه ان هذا لا بأس به وان الارجح ان تقول رضى الله عنه لان هذا مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهما نبيين واما الصلاة والسلام على الملائكة استقلالا فقال التسفى فى مسائل شتى آخر الكنز ولا يصلى على غير الانبياء والملائكة الا بطريق التبع وفى اذكار النووى اجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الملائكة والانبياء استقلالا (على افضل من) اى شخص (اوفى) اى آتاه

الله تعالى (النبوة) بالهمز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله تعالى عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهى ما ارتفع من الارض اى أن له رتبة شريفة ومكانة عند الله تعالى منيفة قال الزركشى كان نافع يقرأ النبيء بالهمز فى جميع القرآن والاختيار تركه والترك لغة النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال يا نبيء الله يعنى بالهمز فقال له است نبيء الله ولكن نبى الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام قال الجوهرى والصاغانى انما انكره لان الاعرابى اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى والنبوة شرعا ايحاء الله تعالى لانسان حر ذكر بحكم تكليفى سواء امره بتبليغه ام لا فهى اعم من الرسالة اذ لابد فى الرسالة من الامر بالتبليغ مع ما ذكر وقيل بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا المطالب الوفية وعدة النبيين على ما ورد فى الحديث مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ونوح اول رسول الى الكفار وآدم اول رسول الى بنيه ولم يكونوا كفارا ورسالته اليهم بتبليغ الايمان والطاعة لله تعالى وكذلك بعده شيث وادريس اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود من قبح الصفا لا بن اقبرس (والحكم) جمع حكمة وهى تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وفى حقائق السلمى الحكمة العلم اللدنى وقيل الحكمة اشارة لاعلة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجريد السر لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله تعالى بعث الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتثبيت قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقيل الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل الحكمة الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اوتى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل الحكمة النبوة وقيل الخشية انتهى وعلى كونها النبوة فالعطف للتفسير وعلى غيره من باب التدلى اى افضل شخص اوتى النبوة وشخص اوتى الحكم وهو الولى يعنى افضل الانبياء والاولياء ويدخل فى الاولياء الملائكة قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * قال المفسرون يعنى موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا فى اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا ولا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم وقوله * ورفع بعضهم درجات * يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات

فى المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام اوتى بالمعجزات مالم يؤته نبى قبله قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضى عياض فى التفضيل المراد به هنا فى الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون فى ذاته افضل واطهر وفضله فى ذاته راجع الى ماخصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام اوخلة اورؤية اوماشاء الله من الطافه وتحفة ولايته فلامرية ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وروى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ومامن بنى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى حديث ابى هريرة مرفوعا عن البخارى انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقى فى فضائل الصحابة انه ظهر على بن ابى طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه وانما قاله اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر اماهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ماهو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه فى كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشأ له ذلك فى قلبه سحائب السرور فاذا انبسطت هذه السحائب فى سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا * فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار فى باطنه ولا ينافى احدهما الآخر وجمهور اهل السنة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم وعوام بنى آدم افضل من عوام الملائكة والمراد بعوام بنى آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه ابن ابى شريف ونص البيهقى عليه فى الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا فى الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة كذا فى المواهب

القسطلانية (وعلى آله) آل الرجل اهله وعياله وآله ايضا اتباعه ولايقال الا للاشراف من العقلاء وهم اما من حيث النسب قال النبي صلى الله عليه وسلم اولاد علي وجعفر وعقيل والعباس والحارث بن عبد المطلب اومن حيث الدين كما روى عنه عليه السلام حين سئل من آلك قال آلي كل مؤمن اومؤمن تقي على اختلاف الروايتين ويروى انه لما نزل قوله تعالى * قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى * قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما واختلف في المراد باهل البيت في قوله تعالى * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه اوقال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الى آخره وقال اللهم هؤلاء بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يارسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي وفي الترمذي وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعيد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافئ له في القيمة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ورآه من ذكر اوانثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة وجعفر واولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابي طالب ولذا سماه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور عشرة الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه شعرا (نموا بتمام فصاروا عشره * بارب فاجعلهم كراما بره) ويقال ان لكل منهم ذرية وكان له من الاناث ام حبيبة واميمة وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته صناعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث وهند ابن الحارث هذا واميمة واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف وقد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاول آله عليه السلام وهم ماتقدم ذكره وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا

عنها خمس الخمس والثانى اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه فى رحم وقيل من اتصل به بنسب اوسبب والثالث ذووالقربى وهم على وفاطمة وابناهما والرابع عترته بكسر العين وسكون المثناة الفوقية فقيل هم عشيرته وقيل ذريته والعشيرة هم الاهل الادنون والذرية نسله واولاد بنت الرجل ذريته (واصحابه) جمع صاحب على رأى والتحقيق ان فاعلا لايجمع على افعال فهو جمع صحب تخفيف صاحب كنهر وانهار اوجمع صحب بالسكون اسم جمع كتمر واتمار والمستعمل فى موضع المفرد صحابى بالفتح منسوب الى صحابة مصدر بمعنى الصحبة وقد جاء بمعنى اصحاب ذكره الجوهرى ويقال صحب وصحبة وصحبان وصحابة واصحاب والصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمنا به ومات على الاسلام وان تخللت ردة طالت الصحبة اولا فاللقاء اعم من الرؤية والمجالسة ليدخل عميان الصحابة ومن لم يجالسه وباسناده الى ضمير غير النبى صلى الله عليه وسلم يخرج عنه من كشف له صلى الله عليه وسلم عنه ليلة الاسراء ولم يلق هو النبى صلى الله عليه وسلم وبالتقييد بالثقلين تخرج الملائكة وبموته على الاسلام يخرج المرتد الذى لم يرجع عن ارتداده كابن جحش بخلاف من مات بعد زدته مؤمنا كعبدالله بن ابى سرح واختلف فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبحيرا الراهب حيث اجتمعا به عليه السلام قبل بعثته وكانت عدة الصحابة رضى الله تعالى عنهم عند وفاته عليه السلام مائة الف انف واربعة عشر الفا كلهم من اهل الدراية كذا ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لاينبغى التردد فى ذكره من الصحابة واما الملائكة فيتوقف عدد هم فى ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه فى قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا وكذا من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم ولو فى هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم ورآه كذلك على طريق الكرامة وكذا من رآه فى المنام وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية (المقتدين) نعت للآل والاصحاب (به) صلى الله عليه وسلم اى المتابعين له ظاهرا وباطنا على كل حال (فى القصد) بلام العهد اى النية الصالحة التى له صلى الله عليه وسلم فى نصرة الدين والحماية عنه ونصح الامة ومحبة الخير وكراهة الشر وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له صلى الله عليه وسلم وسريان حالته فيهم وحلول نظره عليهم من اخلاصهم فى محبته وبذل نفوسهم واموالهم فى محبته والخروج عن اهلهم

واوطانهم فى مرضاته والا قتصاد فى العمل اى التوسط فيه بين الافراط والتفريط كاورد فى الحديث ان الله لايمل حتى تملوا وهو عادته صلى الله عليه وسلم كما قال ولكنى اصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى رد بذلك على قوم من الصحابة ارادوا ان يصوموا الدهر ويعتزلوا النساء فتركوا ماارادوا واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فى اقتصاده فى عمله (والشيم) جمع شيمة وهى الخلق والعادة والخلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة والجمع اخلاق وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة اومكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وكانت الصحابة رضى الله عنهم يقتدون بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى افعاله واقواله واحواله على كل حال الافيما اختص به عنهم لتكمل اخلاقهم كما كملت اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام السنوسى فى شرح مقدمته وقد علم من دين الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف ولانظر فى جميع اقواله وافعاله الاماقام فيه دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام ونزعوا خواتمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وحسر ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ركبتيهما فى قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق عند مارأوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته فى قضية الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية اكله وشربه وغير ذلك ليقتدوا به وقد ثبت ان ابن عمر رضى الله عنهما لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لايحرم الااذا هل هلال ذى الحجة وانما يحرم فى يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند فى ذلك كله الى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اداره راحلته رضى الله عنه فى موضع وعلل ذلك بانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل كذلك وانظر قول عمر رضى الله عنه للحجر الاسود لقد علمت انك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلك ماقبلتك وقد ثبت عن بعض السلف واظنه احمد بن حنبل رضى الله عنه انه كان لايأكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال يمنعنى من اكله انه لم يثبت عندى كيف اكله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فاتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع افعاله الاما اختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا مما علم من دين السلف

ضرورة (مادامت) اى مدة دوامكم (السموات) جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية ايضا والسماء كل ماعلاك فاظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهرى (والارض) بالافراد لانها واحدة فى قول بعضهم والسموات سبع قال تعالى * الحمد لله الذى خلق السموات والارض *الى غير ذلك من الآيات المشتملة على جمع السموات وافراد الارض وقال اللاقانى رحمه الله تعالى فى شرح جوهرته الاصح ان الارضين سبع كما ان السموات سبع لقوله عليه السلام طوقه من سبع ارضين وقال البيضاوى جمع السموات دون الارض وهن مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها انتهى فالمراد مادامت سموات الدنيا وارضها او سموات الآخرة وارضها على ماقالوا فى قوله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض * يعنى سموات الآخرة وارضها وفى تفسير الواحدى قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وارضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل ماستقرت عليه قدماك فهو ارض والاكثرون على ان المراد منه التأبيد قال ابن قتيبة وابن الانبارى للعرب فى معنى الابد الفاظ يقول لافعل ذلك مااختلف الليل والنهار ومادامت السماء والارض ومااختلفت الجرة والدرة وماالطت الابل فى اشباه كثيرة لهذا ظنا منهم ان هذه الاشياء لاتتغير فخاطبهم الله تعالى بما يستعملون فى الفاظهم انتهى ويؤيد المعنى الاول ان السماء ماعلا من السقف وقد ورد فى الحديث سقف الجنة عرش الرحمن وفى مقابلة ذلك الارض لما سفل كما ورد ان ارضها الزعفران فيكون فى الكلام اقتباس من الآية وهو ابلغ لافادته تأبيد ذلك وعدم انقطاعه بانقضاء الدنيا (وماتعاقبت) اى مدة تعاقب اى تتابع (الاضواء) جمع ضوء وهو الضياء وكذلك الضوء بالضم تقول ضاءت النار تضوء ضوأ وضوأ واضاءت مثله واضاءته يتعدى ولا يتعدى ذكره الجوهرى والضوء والضياء هو النور او اخص منه او الضياء ما بالذات والنور ما بالعرض كما قال تعالى * هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (والظلم) جمع ظلمة فالضوء هو النهار والظلمة هى الليل بقرينة التعاقب او اعم من ذلك (وبعد) اصلها اما بعد فالوا وقائمة مقام اما ويؤيده انه لم يقع فى مثل هذا الموضع واما بعد بالواو ولعل وجهه ان اما قد تورد لتدل على ان مابعدها غير مرتبط بماقبلها حتى انه سمى فصل الخطاب والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال لايفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ماعلى انفصال مابعدها عماقبلها فى الجملة فاستعيرت لاما الدالة على الانفصال ذكره البيرجندى فى شرح الوقاية وبعد من الظروف التى قطعت عن الاضافة ونوى فيها معنى المضاف اليه فبنى على الضم يعنى بعد ماتقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبى وآله واصحابه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه وكتبه وفى غرائب مالك للدار قطنى بسند ضعيف

لما جاء ملك الموت الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب فى جملة كلامه اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء فان صح فهو اول من ابتدأ بها وقيل اول من ابتدأ بها داود عليه السلام وانها فصل الخطاب الذى اوتيه وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب ابن لؤى وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان قاله والدى رحمه الله تعالى فى احكامه (فان) الفاء على توهم اما فان الشئ اذا اشتهر فى موضع جاز تركه مع بناء الكلام عليه نحو مازيد كاتبا ولا شاعر بالجر على توهم الباء اوعلى تقديرها بطريق تمو بعض الواو عنها بعد الحذف على انه لا يمنع من اجتماع الواو مع اما كما وقع فى عبارة المفتاح اواخر فن البيان ذكره الخيالى وما تقدم عن البرجندى محمول على الكثير الغالب (العقل) وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها اوالعلم بخير الخيرين وشر الشرين اومطلق لامور لقوة بها يكون التميز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكماته والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينموا الى ان يكمل عند البلوغ كذا فى القاموس وفى عمدة القارى شرح البخارى للعينى اختلفوا فى العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم فى اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات واختلفوا فى محله فقال المتكلمون هو فى القلب وقال بعض العلماء هو فى الرأس انتهى فعلى القول بانه هو العلم يكون بمعنى القوة العالمية حتى يبقى للمفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الامور المعلومات معنى قال النسفى فى بحر الكلام العلم افضل من العقل وفى التمهيد فى معرفة التوحيد الاصح ان العلوم متنوعة علم بالله وبالدين وبالشرائع فهذا افضل من العقل لان العبد يجتمع انعدام العقل ولا يجتمع مع انعدام الدين ولان كل عاقل مخاطب ومأمور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرف والاكتساب والنحو والطب فالعقل افضل انتهى فمراده بالعلوم المتنوعة المسائل المبرهن عليها ونفس البراهين من اطلاق المصدر على اسم المفعول اى التى من شأنها ان يعلمها العالم لانفس القوة العالمية التى هى العقل قال القسطلانى فى مواهبه فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقال بعضهم لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل البصر (والنقل) وهو النصوص الواردة فى الشريعة قطعية كانت اوظنية (متوافقان) اى كل واحد منهما يوافق الآخر يعنى ان القوة العالمية فى الانسان متفقة من حيث حكمها بنفسها بلا دلالة من الغير ولا اطلاع منه لها مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلا لنسبته الى متكلم صادق كما سمى الاول عقلا لاربطه الامر على

حسب قوته و قدم العقل لكونه اصلا لثبوت النقل (والكتاب) اى كتاب الله تعالى وهو القرآن العظيم (والسنة) اى سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام وفعله وسكوته عند امر عاينه من قول او فعل صدر من احد امته ومن السنة طريقة الصحابة رضى الله عنهم لقوله عليه السلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى و الحديث والخبر يختصان بقوله عليه السلام فقط وكذلك الاثر وربما يطلق ذلك على السنة فتكون الاربعة بمعنى واحد وقدم الكتاب لشرفه واخر السنة لان حجيتها ثابتة به قال تعالى * وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (متطابقان) اى كل واحد منهما يطابق الآخر ولا حجة اقوى من هذه الاصول الثلاثة الاول دليل العقل والثانى دليل النقل وهو قسمان الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه (ان الدنيا) قال الجوهرى سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر انتهى يعنى لدنوها اى قربها من الانسان بالنسبة الى الآخرة اولدنوها من القلب بسبب مشتهياتها وفى حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما ما على الارض مع الهواء والجو والثانى كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووى رحمه الله تعالى وهو الاظهر كما قاله العينى فى شرح البخارى فيدخل فى ذلك النقدان و مايشترى بهما مما لا ضرورة فيه ومافيه ضرورة غير ان مافيه ضرورة مأمور بتناوله كما قال تعالى * و لا تنس نصيبك من الدنيا * قال الواحدى فى تفسيره قال قتادة لا تنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال و المعنى على هذا لا تترك ان تطلب فيها حظك من الرزق الحلال وقال الحسن امر ان يأخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ماسوى ذلك لآخرته وعنه ايضا فى هذا المعنى قدم الفضل وامسك مايبلغك وعلى هذا المراد بالنصيب قدر مايكفيه (فانية) من الفناء وهو الاضمحلال والزوال قال ابو محمد الخازن فى قوله تعالى * كل من عليها فان * اى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق و ماليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة و صرف الزمان اليسير الى الطاعة انتهى فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية انها عرض غير باق وماليس بباق فهو فان وقال القسطلانى فى تفسير قوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * اى الا ذاته فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم وفى شرح وصية ابى حنيفة رحمه الله تعالى معنى كل شئ هالك الا وجهه ان كل شئ مما سوى الله تعالى معدوم فى ذاته بالنظر الى ذاته تعالى من حيث انه ممكن مع قطع النظر عن موجده لان كل ماسواه ممكن و الممكن بالنظر الى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر الى ذاته موجودا وذكر الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير فى قوله عليه السلام قال موسى يارب كيف شكرك آدم الحديث قال ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف

انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وان كل شئ هالك الا وجهه لان الغير هو الذى يتصور ان يكون له بنفسه قوام وهذا محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو هذا القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجود وجود غيره فهو قيوم ولا يتصور ان يكون القيوم الا واحدا فليس فى الوجود غير الحى القيوم الواحد فالكل منه مصدره واليه مرجعه ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس اى فنى عن نفسه وعن غير الله فلا يرى الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخر منهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالى رحمه الله تعالى انتهى وهذا المعنى هو المراد بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التى تذكرها العارفون من اهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذى عند اهل الزندقة والالحاد وقد انكرته عليهم علماء الكلام وقد كشفت عن ذلك فى رسالة سميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود واذا عرفت ماتقدم فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانيه اى معدومة بالنظر الى وجود الحق تعالى الباقى لا بالنظر الى ما يظهر منها للحس والعقل او معدومة بالنظر اليها فى ذاتها وان كانت موجودة من طرف ايجاد الحق تعالى لها ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك الكتاب والسنة ماذكرنا من الآيتين ومن قوله عليه السلام كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ماعليه كان وقال عليه السلام اشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد * الا كل شئ ماخلا الله باطل * قال المناوى فى شرح هذا الحديث وفى رواية اصدق كلمة قالها شاعر وفى رواية اخرى اصدق بيت قالته الشعراء وباطل اى فان او غير ثابت او خارج عن حد الانتفاع او آيل الى البطلان او كان باطلا لكونه بين العدمين ولا يشكل بصفات البارى لان بقاءها معلوم من ذكر الذات لكونها غير قابلة للانفكاك وهذا قريب من قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وانما كان ذلك اصدق لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به وروى السلفى فى مشيخته البغدادية عن يغلى بن جراد قال انشد لبيد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الا كل شئ ماخلا الله باطل فقال له صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت نعيم الآخرة لا يزول انتهى ومن استقصى ماورد فى الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطابقة وتيقن ذلك كله بنفس واثقة وحكم بصحة ماذكرهنا وصحة ماسيأتى من ان الدار الآخرة لهى الحيوان وان الظفر بها لا يحصل الا بمتابعة خاتم النبيين وان الشيطان للانسان عدو مبين (سريعة الزوال) من حيث اعيانها (والخراب) من حيث بنيانها وهذا يقتضى ارادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الاول الذى فسرناه كونها

فانية قال الخازن فى تفسير قوله تعالى *انما هذه الحياة الدنيا متاع * اى متعة يتمتع بها مدة ثم تنقطع وان الآخرة هى دار القرار التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة ولا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة و الباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باقى وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الى آخره وتأويل الآية ان الحياة فى الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويعجب حتى اذا كثر ذلك عند صاحبه وظن انه ممتع به سلب ذلك عنه بموته او بحادثة تهلكه كما ان الماء سبب لانفاق النبات وكثرته حتى تتزين به الارض و تظهر بهجتها وظن الناس انهم ممتعون بذلك اهلكها الله ورد ها الى الفناء حتى كأن لم تكن (عزها) اى الدنيا يعنى العز الذى لاهل الدنيا بالدنيا من جاه وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك (ذل) عاجل ولكن اهله لا يشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا قال ابو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى * يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى *قال بعضهم السكر على انواع منها سكر الخمر وهو اسرعها افاقة وسكر الغفلة وسكر الهوى وسكر الدنيا وسكر المال وسكر الاهل والولد وسكر المعاصى وسكر الطاعات وكل هذا ومايشبهه يمنع صاحبه عن اتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتأدب للمناجاة وشرط اقامة الصلاة هو القيام اليها بالخروج عن كل ماسواها (ونعمها) اى الدنيا جمع نعمة وهى ما يتمتع به الانسان وغيره فيها لا مايحصل للانسان فيها من المعرفة والطاعات التى هى من اجل النعم لان التمتع بهذه انما يكون فى الآخرة لا فى الدنيا ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ومسكون وغير ذلك (نقم) جمع نقمة يعنى محنا وبلايا ولقد احسن من قال من اهل الكمال ان الدنيا ليس فيها لذة مطلقا ومايظهر فيها بصور اللذائذ فانما ذلك زوال الآلام لا لذائذ فى الحقيقة فان لذة الاكل زوال الم الجوع ولهذا لا توجد الا بعد الجوع وكذلك لذة الشرب زوال الم العطش ولذة الجماع زوال الم الشبق الذى هو احتراق المنى بجميع ما فى الدنيا فسمان الآلام وزوال الآلام ويسمى زوال الآلام لذائذ عند اهل الدنيا بخلاف الآخرة فان اهل الجنة لا الم عندهم حتى تكون لذائذهم زوال ذلك الالم فلذائذهم حقيقية فلذة اكلهم لا عن جوع ولذة شربهم لا عن عطش كما قال تعالى * ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى *وهكذا جميع لذائذهم ولا يمكن فى الدنيا ذوق لذة من ذلك بل لا يمكن ادراك معناها ذكر الشيخ الشعراوى فى العهود المحمدية قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الدنيا كلها ابنة ابليس وكل من احبها زوجها له ويصير

ابليس يتردد اليه لاجل بنته بل سمعته يقول ان الشيطان يتردد الى من خطب ابنته ولو لم يدخل بها على عادة الاصهار فان اردت يا اخى الحفظ من ذلك فلا تصاهره ولا تخطب بنته وذكر الشيخ محيى الدين ابن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس قال والله مايستوى فراغ عارف عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب الدرهم افرغ من صاحب الدرهمين جاء رجل الى سيدنا ابى مدين فقال له يا سيدنا ان الشيطان يؤذينى فعسى ان تدفعه عنى فقال له الشيخ قد شكى الى ابليس بك قبلك قال وما قال لك قال قال لى لتعلم ياشيخ ان الدنيا خلقها الى ربى وجعلها حبالتى وشركى وملكنيها فجاء فلان فتعدى على فيها واخذ لى منها فعدوت وراءه اطلب حقى منه ووالله ما قصدت منهم انسانا ولا طلبت احدا ولا برحت من مكانى احفظ على بستانى ومالى فمن اخذ لى منه شيئا تبعته اطلب حقى وقد عرفت ان فلانا يشكونى اليك فسبقته وقد اخبرتك بالقصة وانا لا اتركه حتى واسلبه فيما اقدر عليه من دينه اورد الى متاعى كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان * فالى عليهم حجة ولا حق فانهم تركوا مالى وهذا تعدى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فمن الظالم فقال الرجل انا فقال له الشيخ رد اليه دنياه يرد اليك آخرتك (وشرابها) اى الدنيا يعنى جميع مشروباتها المحسوسة التى هى عند النفوس عذب زلال ومشروباتها المعقولة ايضا التى هى مستحسنات النفوس من الطبائع والاحوال (سراب) بالسين المهملة قال الفراء السراب ما لصق بالارض والآل الذى يكون ضحا كالماء بين السماء والارض قال ابن السكيت السراب الذى يجرى على وجه الارض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار وهو الذى يلصق بالارض وقال ابو الهيثم سمى السراب سرابا لانه يسرب سربا اى يجرى جريا يقال سرب الماء يسرب سروبا كذا فى تفسير الواحدى شبهت مشروبات الدنيا ولذيذات احوال اهلها بالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وذلك لسرعة زوالها وكونها على التقضى والاضمحلال لفنائها فى حقيقة الامر كما قدمنا قال ابو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى * والذين كفروا اعمالهم كسراب * الآية قال ابن عطاء يحسبه الظمآن ماء هو قلب ليس فيه شئ من انوار الله فقير بما فيه رجوعه الى الاسباب شرك يظهر اذ ذاك له ان الرجوع الى الحق هو الايمان قال تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه اى وجد الطريق اليه وقال ابن عطاء فى قوله تعالى حتى اذا جاءه لم يجده شيئا قال ما وجد الخلق الا الخلق وابى الحق تعالى ان يكون لخلقه اليه سبيل او طريق اذ لا يعرفه سواه ولا يشهده غيره قال جعفر اضلتهم ظلم صحبة الاغيار فكانت على قلوبهم مثل السراب لم تغن عنهم شيئا ولم تدخلهم على حق لو وجدوا السبيل الى الله لاضاءت سرائرهم وكانت كما قال تعالى * نور على نور * قال بعضهم